تقرير السعدي – رحمه الله –
لعقيدة السلف من خلال تفسيره لسورة الأنعام

دكتور/ صالح بن علي بن عبدالرحمن المحسن
الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

المقـــدمـــة:

الحمد لله الذي أنزل إلينا كتاباً فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننـــا، هـــو الفصل ليس بالهزل، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المـــستقيم، هـــو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبـــه، ولا يـــشبع بـــه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هـــدي إلى صراط مستقيم.

وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين، فختم الله به الرسالة، وهدى بـــه مـــن الضلالة، وعلم به من الجهالة، فتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفـــاً، صـــل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً أما بعد،،

لقد قيض الله تعالى لهذه الأمة العلماء الأعلام؛ الذين يقومون بإرشاد الناس إلى ديـــنهم، وتبيين ما كان عليه السلف من الصحابة الكرام ومـــن تـــبعهم مـــن التـــابعين والأئمـــة المهديين.

ومن هؤلاء الأعلام الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله– الذي بذل حياتـــه وجـــل وقته للعلم ولطلابه، وقد اعتنى عناية بالغة بالعقيدة الإسلامية، وخير دليل علـــى ذلـــك تراثه العلمي من كتب ومصنفات أفردها لبيان العقيدة وتوضيحها، والرد على مخالفيها، وأهم مؤلفاته في ذلك " **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**"؛ حيث يُعد مرجعاً من أهم مراجع أهل السنة في بيان العقيدة والرد على مخالفيها.

فقد رأيت أن أقوم بدراسة علمية عن هذا العالم الجليل، فكان عنوان البحـــث: " **تقريـــر السعدي – رحمه الله – لعقيدة السلف من خلال تفسيره لسورة الأنعام**".

❑ **أسباب اختيار الموضوع:**

- أهمية الموضوع.
- إبراز علم من أعلام أهل السنة والجماعة، وذكر تقريراته لعقيدة السلف.
- وفرة المسائل العقدية وتنوعها الموجودة في سورة الأنعام.

❑ حدود الدراسة:

ستكون الدراسة عن الإمام السعدي – رحمه الله– وتقريراته العقدية؛ من خلال تفسيره لسورة الأنعام.

❑ إجراءات الدراسة:

- عزو الآيات القرآنية التي ترد في البحث إلى سورها وأرقامها في كتاب الله تعالى على النحو التالي: {... نص الآية ...} [اسم السورة: رقم الآية]، ويكون ذلك في المتن.
- تخريج الأحاديث والآثار وعزوها إلى مصادرها، فإن كانت في الصحيحين فأكتفي بتخريجهما منهما أو من أحدهما، وإن لم تكن في الصحيحين فإني مع عزوها إلى أحد مصادرها أذكر درجتها صحة وضعفاً، معتمداً ذلك على كلام أهل العلم.
- الترجمة الموجزة لبعض للأعلام المغمورة، الذين ورد ذكرهم في البحث، وأتبعت في ترجمة الأعلام المنهج الآتي: اسم العلم، نسبه، وتاريخ مولده ووفاته، وفنه الذي اشتهر به، وأهم مصنفاته.
- توثيق النقول من كلام أهل العلم من مصادرها.

❑ وهناك بعض الأمور التي التزمت بها في منهج الرسالة وهي:

١- المصدر الذي يحتوي على أجزاء أذكر الجزء والصفحة، وإذا لم يكن بدون أجزاء أضع قبل ذكر الصفحة حرف (ص) هكذا (ص: ...).

٢- عند تخريج الحديث أذكر أولاً رقم الصفحة والجزء إن وجد، ثم رقم الحديث.

❑ خطة البحث:

وأما خطة البحث فقد تضمنت مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد بينت فيها سبب اختيار الموضوع، وحدود الدراسة، واجراءات الدراسة، وخطة البحث.

وأما التمهيد: ذكرت فيه ترجمة موجزة بينت فيه: اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته، ونبذة من أخلاقه، ومكانته العلميّة، ومصنفاته، ووفاته.

المبحث الأول: تقريره لمسائل التوحيد

المطلب الأول: مفهوم توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد.

المطلب الثالث: استدلاله بالأدلة النقلية والعقلية على تقرير التوحيد.

المطلب الرابع: ما ينافي توحيد الألوهية.

المسألة الأولى: التنجيم.

المسألة الثانية: الذبح لغير الله.

المطلب الخامس: تقريره لبعض الصفات.

المسألة الأولى: تقريره الصفات الاختيارية.

المسألة الثانية: تقريره لصفة الرؤية (رؤية الله ﷻ في الآخرة).

المبحث الثاني: تقريره لمسائل القضاء القدر.

المطلب الأول: مراتب القدر.

المطلب الثاني: احتجاج المشركين بالقضاء والقدر.

المطلب الثالث: أفعال العباد.

المطلب الرابع: الهداية والإضلال.

المبحث الثالث: تقريره لمسائل متعددة

المطلب الأول: الحكمة من إرسال الرسل.

المطلب الثاني: أفضل الرسل.

المطلب الثالث: الروح.

المطلب السابع: تقريره بأنه لا يلزم من الحق كثرة أتباعه.

وأما الخاتمة: فقد بينت النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

ثم فهرس للموضوعات.

التمهيد

ترجمة موجزة عن الشيخ عبد الرحمن السعدي [رحمه الله]

أولاً: اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، من بني تميم.

ثانياً: مولده:

ولد في عنيزة في القصيم في الثاني عشر من محرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

ثالثاً: نشأته:

نشأ الشيخ يتيماً فقد توفيت أمه وله أربع سنين، وتوفى والده وله سبع سنين، ولكنه نشأ نشأة صالحة وقد أثار الإعجاب فقد اشتهر منذ حداثته بفطنته، وذكائه، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره أحد عشر سنة ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده فاجتهد في طلب العلم وجَدّ فيه وسهر الليالي وواصل الأيام حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يَتَعلم ويُعلِّم.

رابعاً: نبذة من أخلاقه:

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصغير، والكبير، والغني، والفقير، وكان يقضي بعض وقته بالاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم مجلساً علمياً حيث إنه يحرص على أن يحتوي على البحوث العلمية، والاجتماعية، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث، وكان يتكلم مع كل فرد بما يناسبه، وكان ذا شفقة على الفقراء، والمساكين، والغرباء مادًّا يد المساعدة لهم بحسب قدرته، ويستعطف لهم المحسنين ممن يُعْرف عنهم حب الخير في المناسبات.

وكان على جانب كبير من الأدب، والعفّة، والنّزاهة، والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليماً، وأبلغهم تفهيماً.

خامساً: مكانته العلميّة:

كان رحمه الله ذا معرفة فائقة في الفقه وأصوله، وكان أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبليّ تبعاً لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد، والتفسير، ولغته، وغيرها من العلوم النافعة. وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما تَرَجّح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب. وله مكانة مرموقة في علم التفسير إذ قرأ عدة تفاسير وبرع فيه وألف تفسيراً جليلاً، في ثمان مجلدات، فسره بالبديهية من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره.

دائماً يقرأ تلاميذه في القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد، ويبين من معاني القرآن، وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى أن سامعه يودّ أن لا يسكت، لفصاحته، وجزالة لفظه، وتوسعه في سياق الأدلة، والقصص، ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته العلمية، وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

سادساً: مصنفاته:

كان رحمه الله تعالى ذا عناية بالغة بالتأليف فشارك في كثير من فنون العلم فألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، وأغلب مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها، وإليك سرد لهذه المؤلفات:

- الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام.
- انتصار الحق.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار.
- التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.
- توضيح الكافية الشافية.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.
- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.
- الجمع بين الإنصاف ونظم ابن عبد القوي.

- الجهاد في سبيل الله، أو واجب المسلمين وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم وهيئتهم الاجتماعية.
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.
- حكم شرب الدخان.
- الخطب المنبرية على المناسبات.
- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية.
- الدرة المختصرة في معان دين الإسلام.
- الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي.
- الدين الصحيح يحل جميع المشاكل.
- رسالة في القواعد الفقهية.
- رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة.
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة.
- سؤال وجواب في أهم المهمات.
- طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول.
- الفتاوى السعدية.
- فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.
- فوائد مستنبطة من قصة يوسف.
- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن.
- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافع
- القول السديد في مقاصد التوحيد.
- مجموع الخطب في المواضيع النافعة.
- مجموع الفوائد واقتناص الأوابد.
- المختارات الجلية من المسائل الفقهية.
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية.
- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

- المناظرات الفقهية.
- منظومة في أحكام الفقه.
- منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة.
- وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين.
- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.
- يأجوج ومأجوج. طبع دار لينا، مصر، دمنهور، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

سابعاً: وفاته:

وبعد عمر دام تسعاً وستين سنة قضاها في التعلم والتعليم والتأليف وخدمة الأمة الإسلامية وافاه الأجل المحتوم فتوفى سنة ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[1].

[1] ينظر: مشاهير وعلماء نجد، تأليف: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط/ الثانية، ١٣٩٤ه (ص: ٢٩٢) فما بعدها. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م (١٨/٥). الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، تأليف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن العبَّاد، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م (١٧) فما بعدها.

المبحث الأول

تقريره لمسائل التوحيد

المطلب الأول: مفهوم توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

المسألة الأولى: التعريف بتوحيد الربوبية: تعريف الرب:

التعريف اللغوي: فالرب له عدة معان؛ وهي: المالك، والسيد المطاع، والمدبر، والمربي والقيم، والمنعم، والمتمم، والمصلح للشيء [١]. قال ابن فارس: الراء والباء تدل على أصول:

- إصلاح الشيء والقيام عليه، يقال: ربَّ فلان ضَيعتَه إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.
- لزوم الشيء والإقامة عليه، يقال: أربَّت السحابة بهذه البلدة، إذا دامت، وأرضٌ مَرَبٌ: لا يزال بها مطر.
- ضم الشيء للشيء [٢].

ذكر الإمام السعدي رحمه الله أن الرب: هو المدبر والمربي، وأنه هو الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وصرف عنهم صنوف النقم[٣].

وأما في الاصطلاح: فقد سلك – رحمه الله – مسلك السلف في تعريف توحيد الربوبية[٤] فقال: هو إفراد الله ﷻ بالخلق والملك التدبير[٥].

---

[١] مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م. (٢٨١/٢). لسان العرب لابن منظور، تحقيق/ عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة (١٥٤٦/٣، ١٥٤٧). تاج العروس، للمرتضى الزبيدي، تحقيق/ علي هلالي، وأخرون. سلسلة التراث العربي وزارة الإعلام الكويتي، طبع في سنوات متعددة من (١٣٨٩ه/ ١٩٦٩م – ١٤٢٢ه/٢٠٠١م). (٢/ ٤٥٩،٤٦٣).

[٢] مقاييس اللغة (٣٨١/٢، ٣٨٢).

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م (ص: ٢٢٨، ٢٦٨).

[٤] ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، شرحه/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب وتخريج/ د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د. خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٥ه (٥/١). مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب، فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن ودار الثريا، الرياض، ط/ الأخيرة، ١٤١٣ه (١٨/١).

[٥] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٢، ٢٨٢).

المسألة الثانية: التعريف بتوحيد الألوهية، تعريف الإله:

التعريف اللغوي: الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد. فالإله في اللغة معناه المألوه، والإله هو الله ﷻ، وكل ما اتخذ معبودًا، فهو إله عند متخذه. والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام سموها بذلك؛ لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، والتأليه التعبيد، والتأله التنسك والتعبد[1].

وأما في الاصطلاح: فقد عرفه الإمام السعدي بأنه "المألوه المعبود في السماوات وفي الأرض، فأهل السماء والأرض، متعبدون لربهم، خاضعون لعظمته، مستكينون لعزه وجلاله"[2].

وقال في موقف آخر: " المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب"[3].

وعليه فإن الإمام رحمه الله وافق السلف رحمهم الله في تقريرهم لهذه المسألة[4].

قال ابن القيم – رحمه الله–: "هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تُألِهُهُ القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء.

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل، هو إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة والإنابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابه ومراده الديني على محبة العبد ومراده"[5].

---

[1] ينظر: الصحاح للجوهري (إسماعيل بن حماد)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الرابعة، ١٩٩٠م (٦/٢٢٢٣، ٢٢٢٤). معجم مقاييس اللغة (١/١٢٧).لسان العرب (١/١١٤). القاموس المحيط، للفيروز أبادي، المطبعة الأميرية، ط/ الثالثة، ١٣٠١ه (٤/٢٧٥). تاج العروس (٣٦/٣٢١، ٣٢٢).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٠).

[3] المصدر نفسه (ص: ٢٦٨).

[4] ينظر: دقائق التفسير، لابن تيمية، تحقيق/محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م (٢/٣٦٤). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م (٥/٢٢٧). النبوات لابن تيمية، تحقيق/ د. عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م (١/ ٢٨٥). مدارج السالكين لابن القيم، اعتنى بها/ مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩ه- ١٩٩٩م (١/١٩).

[5] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق/ حسن عبد الله الحساني، دار التراث، القاهرة (ص: ٢٨٥).

التعريف بتوحيد الألوهية:

هو أعظم أنواع التوحيد وأشرفها، فهذا التوحيد هو الذي يُدخل في الإسلام، وينجي من عذاب الله، وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو معنى قول لا إله إلا الله، وهو الذي بُعثت به الرسل وأُنزلت به الكتب، وخالف فيه المشركون في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل:٣٦][1].

وقد سلك الإمام السعدي رحمه الله مسلك السلف في تعريف توحيد الألوهية، فذكر أنه إفراد الله بالإخلاص[2] – أي بكلمة الإخلاص المتمثلة بـ [لا إله إلا الله].

قال رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) [الأنعام: ١] "وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه"[3].

وقال عند تفسير قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) [الأنعام:١٩]: بأنه المنفرد الذي لا يستحق العبودية والألوهية سواه[4].

قال ابن أبي العز[5]: "وهو استحقاقه ﷻ أن يُعبد وحده لا شريك له"[1].

---

[1] ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١). إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للإمام/ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بدون. ط. ت. (١٣/١). تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، دار المصميعي، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م (١/١٢٤، ١٢٥).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١).

[3] المصدر نفسه (ص: ٢٥٠).

[4] المصدر نفسه (ص: ٢٥٢).

[5] هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، ولد سنة ٧٣١ه، وتوفي سنة ٧٩٢ه، من أهم مؤلفاته: "شرح الطحاوية"، و"التنبيه على مشكلات الهداية"، و "النور اللامع فيما يعمل به في الجامع". ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ه– ١٩٩٣م (٣/ ٨٧). الأعلام لخيرالدين الزركلي، دار=

وقال السفاريني[٢] – رحمه الله –: " هو إفراد المعبود بالعبادة "[٣].

المسألة الثالثة: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات:

التعريف اللغوي:

الأسماء: جمع اسم، وأصله (سِمْو) بالواو، وهو من العلو والرفعة؛ وإنما جعل الاسم تنويهًا على المعنى؛ لأن المعنى تحت الاسم [٤].

والاسم: هو اللفظ الدال على المسمى[٥]، وأسماء الله كل ما دل على ذات الله، مع صفات الكمال القائمة به مثل القادر والعليم والحكيم والسميع والبصير[٦].

=العلم للملايين، ط/الخامسة عشر، ٢٠٠٢م (٤/ ٣١٣). معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م (٢/ ٤٨٠).

[١] شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. (ص: ١٩).

[٢] هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق، ولد بسفارين (من قرى نابلس) سنة ١١١٤ه، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وتوفي بها سنة ١١٨٨ه، له العديد من المصنفات أهمها: "لوامع الأنوار البهية"، و"شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد". ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمُرادي (محمد خليل بن علي)، دار ابن حزم، دار البشائر، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م (٣١،٣٢/٤). الأعلام (٦/ ١٤). معجم المؤلفين (٦٥/٣).

[٣] لوامع الأنوار البهية، السفاريني (محمد بن أحمد)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط/ الثانية، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م (٥٧/١).

[٤] ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (أبي منصور محمد بن أحمد)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (١٣/ ١١٧). مقاييس اللغة (٩٩/٣)

[٥] ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق/ أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط/ الثالثة، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م (١١٤/٦). بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق/ علي محمد العمران، دار عالم الفوائد (٢٩/١).

[٦] ينظر: المجلَّى في شرح القواعد المثلى للعثيمين، كاملة الكوري، دار ابن حزم، بدون بيانات النشر (ص: ٦٨).

والصفات: جمع صفة، وأصلها (وَصَفَ) والصفة: الأمارة اللازمة للشيء[١]، وهي ما دل على معنى زائد على الذات[٢]، وصفات الله هي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر[٣].

والفرق بين الأسماء والصفات: أن الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال، وأما الصفات فإنها تدل على معنى قائم بالذات فقط[٤].

وأما في الاصطلاح:

لم أجد للأمام السعدي رحمه الله تعريفاً واضحاً لهذا التوحيد بين ثنايا هذه السورة، إلا أنه أشار بأنه الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته، فلا يشاركه في ذلك أحد من خلقه[٥].

لكنه – رحمه الله– جاء بتعريف واضح وشامل عند تفسيره لسورة الفاتحة، قرر من خلاله مذهب السلف[٦]، فقال: " وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه"[٧].

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد.

إن العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة متلازمة، فهي تشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نسميه "التوحيد"، فلا يكتمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يُكمِل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيمان بدون توحيد الله في

---

[١] ينظر: مقاييس اللغة (١١٥/٦).

[٢] ينظر: لوامع الأنوار (١٢٥/١).

[٣] ينظر: المجلّى في شرح القواعد المثلى (ص: ٦٨، ٦٩).

[٤] المصدر نفسه (ص/ ٦٨).

[٥] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٤).

[٦] ينظر: أعلام السنة المشورة لاعتقاد الطائفة النجية المنصورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق/ أحمد بن علي علوش، مكتبة الرشد، وشركة الرياض، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٨ه– ١٩٩٨م (ص: ٥٧). الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ السادسة، ١٤٢١ه– ٢٠٠٠م (ص: ٧). مجموع فتاوى ورسائل ابن عيمين (٢١/١، ٢٢).

[٧] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩).

أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله [1].
"فالمعرفة لا تكون بدون عبادة، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله"[2].
ومن الشواهد الدالة على التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: أن توحيد الربوبية لا ينكره المشركون، بل مقرُّون به.
قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) [الزُّخرُف:٨٧].
وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) [لقمان:٢٥].
وقوله تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ) [يونس:٣١].
ومع هذا فهم يشركون بالله، فيجعلون له أندادًا، يحبونهم كحب الله، وأنهم شفعاؤهم عنده تعالى[3]، ولذلك لم يقبل الله تعالى منهم ذلك الإقرار؛ لأنهم يعبدون غيره.
فالإيمان بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية لا يستقيم، وإلا لكان المشركون من الناجين. وعليه فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، بمعنى: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن عرف أن الله تعالى ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته، وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له، فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده، لزم إفراده بالعبادة. بالإضافة إلى ذلك فإن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بمعنى: أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له، فلا بد أن يكون معتقدًا أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر[4].

---

[1] ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، د/ محمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف، الكويت (ص: ٤٧).
[2] تحذير أهل الإيمان (١٤٠/١) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر، والشوكاني، والصنعاني، وغيرهم، تحقيق/ محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، ط/ ١٣٤٣ه.
[3] مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١١).
[4] ينظر: رسائل في العقيدة، د. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٣ه–٢٠٠٢م (ص: ١٤٨).

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معًا؛ لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له ﷻ، من جملتها: كونه ربًا واحدًا لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهًا واحدًا لا شريك له في ألوهيته[1].

وقد سلك الإمام السعدي مسلك السلف، وقرر هذا التلازم بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام:١٢] فقال: قل لهؤلاء المشركين بالله، مقرراً لهم وملزماً بالتوحيد ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: مَن الخالق لذلك، المالك له، المتصرف فيه؟ قُل لهم: ﴿لِلَّهِ﴾، وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد[2]؟

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٦٣] أي " قل للمشركين بالله، الداعين معه آلهة أخرى، ملزماً لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية..."[3].

المطلب الثالث: استدلاله بالأدلة النقلية والعقلية على تقرير التوحيد.

لقد استدل الإمام السعدي – رحمه الله – بالعديد من الأدلة النقلية والعقلية على تقرير التوحيد، وموافقاً للسلف في ذلك.

فقد ذكر – رحمه الله– أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله.

ثم بدأ يورد الأدلة النقلية والعقلية على تقرير التوحيد؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١]، قال: هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموما، وعلى هذه المذكورات خصوصا. فحمد نفسه على خلقه السماوات

---

[1] ينظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبدالعزيز محمد السلمان، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط/١١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م (ص: ٤٢٢).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١).

[3] المصدر نفسه (ص: ٢٦٠).

والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك؛ كالليل والنهار، والشمس والقمر. والمعنوي؛ كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه[1].

وذكر في موقف آخر عند تفسير قوله تعالى: (قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ) [الأنعام:١٢] فقال: قل لهؤلاء المشركين بالله، مقرراً لهم وملزماً بالتوحيد (لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) أي: مَن الخالق لذلك، المالك له، المتصرف فيه؟ قُل لهم: (لِلَّهِ)، وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد[2]؟

ومن الأدلة التي ذكرها أيضا على تقرير التوحيد قال تعالى: (۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨) [الأنعام:١٣– ١٨]

هذه الآيات، ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، وينقمع به الشرك. فذكر أن له تعالى (مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ) من جميع المخلوقات، من آدميها،وجنِّها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسخرون لربهم العظيم، القاهر المالك، فهل يصح في عقل ونقل، أن يعبد مِن هؤلاء المماليك، الذي لا نفع عنده ولا ضر؟ ويترك الإخلاص للخالق، المدبر المالك، الضار النافع؟! أم العقول السليمة، والفطر المستقيمة، تدعو إلى إخلاص العبادة، والحب، والخوف، والرجاء لله رب العالمين؟!.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٠).

[2] المصدر نفسه (ص: ٢٥١).

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ) لجميع الأصوات، على اختلاف اللغات، بتفنن الحاجات. (ٱلْعَلِيمُ) بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، المطلع على الظواهر والبواطن؟!.

(قُلْ) لهؤلاء المشركين بالله: (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا)من هؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني، وينصرني؟!.

فلا أتخذ من دونه تعالى وليا، لأنه فاطر السماوات والأرض، أي: خالقهما ومدبرهما. (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرزاق، الغني الحميد؟.

(قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ) لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، لأني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي.

(وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) أي: ونهيت أيضا، عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض عليَّ، وأوجب الواجبات.

ومن أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء. ولهذا قال: (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ) من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أوهم أو نحوه (فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية.

(وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ) فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة.

(وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ) فيما أمر به ونهى، وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر. (ٱلْخَبِيرُ) المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد[1].

ومن الأدلة التي استدل بها أيضا على تقرير التوحيد قوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾)

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١).

[الأنعام:٤٦، ٤٧]. قال والمعنى: " أنه تعالى يخبر كما أنه هو المتفرد بخلق الأشياء وتدبيرها، فإنه المنفرد بالوحدانية والإلهية فقال: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم) فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل (مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ) فإذا لم يكن غير الله يأتي بذلك، فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه الله.

وهذا من أدلة التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال: (ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ) أي: ننوعها، ونأتي بها في كل فن، ولتنير الحق، وتتبين سبيل المجرمين. (ثُمَّ هُمْ) مع هذا البيان التام (يَصْدِفُونَ) عن آيات الله، ويعرضون عنها"[1].

ومن الأدلة العقلية التي استدل بها على تقرير التوحيد دليل النظر في الآفاق، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾) [الأنعام:٧٤- ٧٩].

ذكر الإمام السعدي بعد ذكره لهذه الآيات أن الله تعالى مكَّن لإبراهيم عليه السلام أن يرى ببصيرته ملكوت السموات والأرض وما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة؛ فإنه بحسب الأدلة؛ يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب.

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى) أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة ولا برهان.

(فَلَمَّآ أَفَلَ) أي: غاب ذلك الكوكب (قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ) أي: الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائما بمصالح من عبده، ومدبرا له في جميع شئونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟!

---

[1] المصدر نفسه (ص:٢٥٦).

(فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ) أي تنـــزلا. (فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ) فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي لـــه، وإن لم يعنه على طاعته، فلا معين له.

(فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ) من الكوكب ومـــن القمـــر. (فَلَمَّآ أَفَلَتْ) تقرر حينئذ الهدى، واضمحل الردى فـــقال(يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) حيـــث قـــام البرهان الصادق الواضح، على بطلانه.

(إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ) أي: لله وحـــده، مقـــبلا عليه، معرضا عن من سواه. (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) فتبرأ مـــن الـــشرك، وأذعـــن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان[1].

المطلب الرابع: ما ينافي توحيد الألوهية:

إن مما ينافي توحيد الألوهية أمرين[2]:

- الشرك الأكبر: الذي إذا أتى به المكلف فإنه ينقض توحيده، ويكون مـــشركًا شـــركًا أكبرًا مخرجًا من الملة. فمثل هذا يُقال فيه: أنه قد أتى بما ينافي التوحيد، أو ينـــافي أصل التوحيد.
- الشرك الأصغر: وهو ينافي كماله الواجب مثل: يسير الرياء .

وهناك العديد من الأمور الشركية التي تنافي التوحيد؛ كالسحر، والكهانة، والعرافة، والتنجيم، والذبح لغير الله، والتوسل بالقبور والأولياء...الخ.

ولم يتحدث الإمام السعدي – عند تفسيره لسورة الأنعام– إلا عن جزء يسير مـــن التنجيم، والذبح لغير الله. نوجزها فيما يلي:

أولاً: التنجيم:

تعريف علم النجوم: وهو الاستدلال على الحوادث الأرضـــية بـــالأحوال الفلكيـــة والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية[3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٦٢).

[2] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط/ الأولى، ١٤٠٢ه– ١٩٨٢م (ص: ٨). التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٣ه– ٢٠٠٢م (ص: ٩٠).

[3] ينظر: الفتاوى الكبرى (٥٣٦/٥). مجموع الفتاوى (١١٦/٣٥).

قال الخطابي – رحمه الله –: إن علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان؛ كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيرًا في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به ولا يعلم الغيب أحد سواه[1].

حكم التنجيم: التنجيم نوعان[2]:

النوع الأول: علم التأثير أو الأحكام: وهو محرم شرعًا، وأقسامه:

القسم الأول: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث فهذا شرك مخرج عن الملة؛ لأنه جعل المخلوق خالقًا فادعى أن مع الله خالقًا آخر.

القسم الثاني: أن يستدل بحركاتها وتنقلاتها على ما يحدث في المستقبل، مثل: أن يعتقد أن فلانًا ستكون حياته شقاءً؛ لأنه ولد في النجم الفلاني ونحو ذلك، فهذا قد ادعى علم الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

القسم الثالث: أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر؛ أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر؛ لأنه أضاف الحوادث إلى ما ليس سببًا لها شرعًا ولا حسًا، وجعل ما ليس سببًا شرعيًا ولا حسيًا سببًا.

وهذا النوع لم يتحدث عنه الإمام السعدي عند تفسيره للسورة، ولأهميته وارتباطه بالموضوع إذ أنه من الأمور التي تنافي التوحيد؛ ذكرناه.

---

[1] ينظر: معالم السنن، تحقيق/ محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط/ الأولى، ١٣٥١ه، ١٣٥٢ه- ١٩٣٢م، ١٩٣٣م (٢٢٩/٤، ٢٣٠).

[2] ينظر: الإحياء للغزالي، مطبعة كرياطة فوترا سمارغ، أندوسيا (٢٩/١، ٣٠) مجموع الفتاوى (١١٠/٣٥). القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م (ص: ١٩٥، ١٩٦).

النوع الثاني: علم تسيير وحساب: وهو جائز شرعا، وهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركاتها، ومعرفة الجهات الست ونحو ذلك، وله عدة أقسام:

القسم الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية فهذا مطلوب، وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجبًا، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة، فهذا فيه فائدة عظيمة.

القسم الثاني: أن يستدل بها على المصالح الدنيوية وهذا لا بأس به، وهو نوعان:

- أن يستدل بها على الجهات، كمعرفة أن القطب يقع شمالًا، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالًا وهكذا، فهذا جائز قال تعالى: (وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ) [النحل:١٦] .
- أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون، والذين كرهوه قالوا: يخشى إذا قيل طلع النجم الفلاني فهو وقت الشتاء، أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي بالبرد، أو بالحر، أو بالرياح. والصحيح عدم الكراهة[١].

وهذا النوع هو الذي تحدث عنه الإمام السعدي رحمه الله فقال عند تفسير قوله تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ) [الأنعام:٩٧] جعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم، فيعرفون من خلالها الجهات والأوقات.

ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك[٢].

---

[١] ينظر: معالم السنن (٢٢٩/٤، ٢٣٠). شرح السنة للبغوي (الحسين بن مسعود)، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م (١٨٣/١٢). القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩٥، ١٩٦). مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٨٧/٢).

[٢] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٥).

الحكم على المنجم: اختلف أهل العلم فيه على قولين[١]:

القول الأول: منهم من ذهب إلى تكفيره: كالقرطبي وسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[٢].

قال القرطبي – رحمه الله –: "وليس المنجم ومن ضاهاه – ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب، ويزجر بالطير – ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله، مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه" [٣].

القول الثاني: منهم من ذهب إلى عدم تكفيره: وهذا قول الإمام مالك، وابن رشد الجد، والحافظ ابن حجر وغيرهم.

قال ابن رشد القرطبي[٤] – رحمه الله– : "سئل مالك عن الذي ينظر في النجوم فيقول: الشمس تكسف غدًا، والرجل يقدم غدًا، وما أشبه ذلك، فقال: أرى أن يزجر عن ذلك، فإن لم يفعل أدب في ذلك"[٥].

ثانياً: الذبح لغير الله:

وردت العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية حثت على صرف الذبح لله ﷻ، وتحريم صرفه لغيره. قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام:١٦٢]. وقال تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)[الكوثر:٢].

---

[١] ينظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد سالم المشعبي، مكتبة الصديق، الطائف، ط/ الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م (ص: ٢٦٤- ٢٦٦)

[٢] هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد بالدرعية سة ١٢٠٠هـ، برع في التفسير والحديث والفقه، من أهم مصنفاته: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد"، و "أوثق عرى الإيمان"، توفي سنة ١٢٣٣هـ. ينظر: الأعلام (٣/ ١٢٩). معجم المؤلفين (٧٩٣/١).

[٣] الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ (٣٠٨/٢١).

[٤] هو أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، المعروف (أبن رشد الجد)، من أهل قرطبة، من أعيان المالكية، وقاضي الجماعة بقرطبة، وهو جد ابن رشد الفيلسوف، له العديد من المؤلفات منها: "المقدمات الممهدات"، و"البيان والتحصيل"، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي ٥٢٩هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق/ د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة (٢٤٨/٢- ٢٥٠). الأعلام (٥/ ٣١٦).

[٥] البيان والتحصيل، تحقيق/ د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م (٤٠٤/١٧).

ومن السنة حديث علي بن أبي طالب قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: " لعن الله من ذبح لغير الله..."[1] الحديث.

والذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين:

- أن يذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة.
- أن يذبح لغير الله فرحًا وإكرامًا، فهذا لا يخرج من الملة، بل من الأمور العادية التي تكون مطلوبة أحيانًا وغير مطلوبة أحيانًا، فالأصل أنها مباحة[2].

فقد سلك الإمام السعدي مسلك السلف في تقرير هذه المسألة فقال عند تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) [الأنعام:١٢١].

ويدخل تحت هذا المنهي عنه عدة أمور:

- ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي يذبح للأصنام، وآلهتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصا.
- ويدخل في ذلك؛ متروك التسمية، مما ذبح لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمدا ترك التسمية، عند كثير من العلماء، ويخرج من هذا العموم، الناسي بالنصوص الأخرى، الدالة على رفع الحرج عنه.
- ويدخل في هذه الآية، ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه[3].

المطلب الخامس: تقريره لبعض الصفات.

هذه المسألة من أهم المسائل العقدية، فأهل السنة والجماعة تحدثوا فيها بإسهاب، وتكلموا فيها بغزارة في كتبهم ومصنفاتهم، وهذا خير دليل على أهميتها.

---

[1] رواه مسلم في كتاب الأضاحي، باب/ تحريم الذبح لغير الله (ص: ٨٢٠)، برقم (١٩٧٨) صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

[2] ينظر: القول المفيد (٢١٥/١).

[3] تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٧١).

تنقسم الصفات عند أهل السنة إلى قسمين:

صفات ثبوتية: وهي ما أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم، والقدرة والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين.

صفات سلبية: وهي ما نفاها الله ﷻ عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

فالصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين[1]:

صفات ذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية كالوجه، واليدين، والعينين.

صفات فعلية وتسمى[بالصفات الاختيارية]: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

والصفات الذاتية تنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية عقلية (معنوية): أي أن الاستدلال عليها يحصل بالعقل، فيقترن في معرفتها السمع والعقل، كصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع.

صفات ذاتية خبرية: أي أن الاستدلال عليها وإثباتها لا يمكن إلا عن طريق النص، كصفة اليدين.

والصفات الفعلية تنقسم إلى قسمين:

صفات عقلية (معنوية): هي التي يشترك في معرفتها السمع والعقل، كصفة الخلق والرزق.

---

[1] ينظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة/ عبد الإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٢ه – ١٩٩١م (١/٢٨٠). شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه، أسامه عبد العزيز، دار التيسير، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م (ص: ١١١- ١٢٧). شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين، حققه وخرج أحاديثه/ أبو محمد شرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط/ الثالثة، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م (ص: ٢٥). الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص: ٤٢٩، ٤٣٠).

صفات خبرية: هي التي لا يمكن أن يستدل بها إلا عن طريق النص، كالاستواء والنزول، والإتيان، والمجيء.

ومن خلال سورة الأنعام تحدث الإمام السعدي – رحمه الله– عن الصفات الاختيارية، وعن الرؤية [رؤية الله تعالى في الآخرة] وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً: تقريره الصفات الاختيارية:

ذكر رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨] بأن هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى؛ كالاستواء، والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين[١].

وعليه فقد سلك مسلك السلف في تقرير الصفات الاختيارية من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وفيما يلي بيان لمذهب السلف في بعض الصفات الاختيارية:

– ذهب السلف – رحمهم الله تعالى– إلى إثبات استوائه ﷻ على عرشه استواءً حقيقيًا يليق به تعالى، دون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ، ولا تمثيل[٢].

– ذهب السلف – رحمهم الله – إلى إثبات صفة النزول لله ﷻ ويقولون : إن نزوله حقيقي يليق بجلاله وعظمته، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف[٣].

وهكذا سائر الصفات الاختيارية فإنهم يثبتونها على حقيقتها على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، دون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

ثانياً: تقريره لصفة الرؤية [رؤية الله ﷻ في الآخرة]:

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨١).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١١، ١٢). الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، دراسة وتحقيق/ د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط/ الثانية، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م (ص: ٢٠١، ٢١٨– ٢٢٠). شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص: ٦٢).

[٣] ينظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية – الكويت (٢٥٥/١). لوامع الأنوار (٢٤٧/١).

تعد هذه المسألة من أهم المسائل العقدية، والتي وقع فيها الخلاف بين المذاهب إثباتا ونفيا، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل:

فقد اختلف الناس في الرؤية على أقوال:

القائلون بإثبات الرؤية:

أولاً: أهل السنة: أثبت أهل السنة والجماعة رؤية الله ﷻ في الجنة رؤية حقيقية بالأبصار، وهي ثابتة بأدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع.

القرآن الكريم:

- قال تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾)[القيامة:٢٢، ٢٣].

وجه الدلالة: أن الفعل (نظر) إذا عدي بـ (إلى)؛ يراد به نظر العين أو المعاينة والمشاهدة[١].

- وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [المطففين:١٥].

وجه الدلالة: لما حجب الكفار في حال السخط دلَّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق[٢].

- وقوله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [يونس:٢٦].

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ بين أن الزيادة هي: النظر إلى وجهه الكريم. فقال ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ "[٣].

---

[١] ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)، تحقيق/ زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد (٦٢٢/٢، ٦٢٣). شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ١٢٩، ١٣٠).

[٢] ينظر: حادي الأرواح (٢/ ٦١٦). شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص: ٨٧). شرح الطحاوية (١٣١، ١٣٢).

[٣] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب/ إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (ص: ٩٩)، برقم (١٨١).

السنة النبوية:

فالأحاديث الدالة على ثبوت الرؤية بلغت التواتر، وبلغ عدد رواته عن رسول الله من الصحابة بضع وعشرون صحابياً [١].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[٢].

وقوله ﷺ : "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: فإنكم ترونه كذلك"[٣].

الإجماع:

فقد أجمع أئمة الهدى من سلف الأمة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة –رؤية حقيقية بالأبصار – دون الكفار[٤].

ثانياً: الأشاعرة: أثبتوا الرؤية فمنهم من قال: أنها ليست إلى جهة، ومنهم من قال: إنما تكون إدراكاً[٥]. فهم ردوا قول المعتزلة في أن الرؤية ممتنعة بإثباتها، ووافقوهم في أن

---

[١] ينظر: الحجة في بيان المحجة للإصبهاني، تحقيق/محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد محمود أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ١٤١٩ه–١٩٩٩م (٢/٢٤٥، ٢٤٦). بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (أبي العباس أحمد بن عبد الحليم)، تحقيق/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط/ الأولى، ١٣٩٢ه (٢/٤٠٩، ٤١٦). مجموع الفتاوى (٦/ ٢٨٢). منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق/ د: محمد رشاد سالم، ط/ الأولى، ١٤٠٦ه– ١٩٨٦م. (٣/٣٤١). حادي الأرواح (٢/ ٦٢٥).

[٢] رواه الشيخان: البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب/ فضل صلاة العصر، (١/١١٥)، برقم (٥٥٤)، واللفظ له، الجامع الصحيح، تحقيق/ محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/ الأولى، ١٤٢٢ه.. ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب/ فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (ص: ٢٤٩)، برقم (٦٣٣).

[٣] رواه الشيخان: البخاري في كتاب التفسير، باب/ قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ج ج) (٦/ ٤٥)، برقم (٤٥٨١). ومسلم في كتاب الإيمان، باب/ معرفة طريق الرؤية (ص: ٩٩)، برقم (١٨٢)، واللفظ له.

[٤] ينظر: الرد على الجهمية، للدرامي (عثمان بن سعيد)، تقديم وإخراج وتعليق/ بدر البدر، الدار السلفية، الصفاة الكويت، ط/ الأولى، ١٤٠٥ه– ١٩٨٥م (ص: ١٠٤). شرح صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، الأزهر القاهرة، ط/ الأولى، طبع بين عامي (١٣٤٧ه/ ١٩٢٩م– ١٣٤٩/١٩٣٠م) (٣/١٥). مجموع الفتاوى (٦/٢٨٢، ٣٠٦). حادي الأرواح (٢/٦٠٥). لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٠). تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مؤسسة غراس، الكويت، ط/ الأولى، ١٤٢٤ه– ٢٠٠٣م (١/١٨٦).

[٥] ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف)، تحقيق/ د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩ه– ١٩٥٠م (ص: ١٨١) فما بعدها. التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي (٣٠/ ٢٢٦، ٢٢٨).

ليس على العرش رب، وأن الله ليس في جهة – جهة العلو – فقالوا: الرؤية لا إلى جهة[١].

الأدلة التي استدلوا بها:

أدلة الأشاعرة في إثبات الرؤية هي نفس الأدلة التي استدل بها أهل السنة، إلا أن الأشاعرة خالفوا أهل السنة في قولهم: أن الله تعالى يرى لا في جهة، لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته. وقالوا: ليس من شرط الرؤية المقابلة والجهة، واحتجوا بأن كل موجود يصح أن يرى[٢]، وقد يحتجون بالمرآة فإن الإنسان يرى نفسه فيها لا في جهة[٣].

ثانياً: نفاة الرؤية: وهم الرافضة[٤]، والجهمية[٥]، والمعتزلة[٦] والخوارج[٧] والزيدية[٨]، هؤلاء أنكروا الرؤية وخالفوا بذلك الكتاب والسنة.

---

[١] ينظر: منهاج السنة (٣/٣٤٠). شرح العقيدة الطحاوية، د. صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار المودة، المنصورة، ط/ الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١١م (١/٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩).

[٢] ينظر: الإرشاد للجويني (ص: ١٧٤، ١٨٠، ١٨١).

[٣] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي (محمد أبي حامد)، تحقيق/ موفق فوزي الجبر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م (ص: ٤٢، ٤٣).

[٤] ينظر: أوائل المقالات، تحقيق/ الشيخ: إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ مفيد، مطبعة/ مهر، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ (ص: ٥٧). حق اليقين في معرفة أصول الدين، عبد الله شبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م (١/ ٦٢).

[٥] ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط/ الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م (ص: ٧٦). الملل والنحل للشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم)، تحقيق/ أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة. بيروت، ط/ الثالثة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م (١/ ٩٩).

[٦] ينظر: المختصر في أصول الدين، للقاضي عبد الجبار، بدون بيانات النشر (ص: ٣٣٧). شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق/ د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ الثالثة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م (ص: ٢٣٢).

[٧] ينظر: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، للرستاقي، تحقيق/ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، ط/ الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م (١/٤٠٦). الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ زكريا بن خليفة المحرمي، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، ط/ الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م (ص: ٣٧).

[٨] ينظر: أوائل المقالات (ص: ٥٧). التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق/ هشام حنفي سيد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م (١/٢٨٦).

الأدلة التي استدلوا بها:

الدليل الأول: قال تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام:١٠٣]. **وجه الدلالة:** قال القاضي عبد الجبار: " أن الإدراك إذا قُرن بالبصر، لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال"[١].

الرد عليهم: إن استدلال منكري الرؤية بهذه الآية على نفي الرؤية باطل؛ لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو بمعنى الإحاطة، وليس هذا المعنى في النظر. فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، فلا شيء يحيط به، والدليل على أن الإدراك معنى زائد قوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾)[الشعراء:٦١، ٦٢]، فقد فرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً: حيث أثبت الرؤية بقوله: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ)، وأخبر أنه رأى بعضهم بعضاً، فصحت منهم الرؤية، ونفى الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم:(قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)فأخبر الله تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى هو غير ما أثبته، فالإدراك غير الرؤية[٢].

الدليل الثاني: قال تعالى: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي) [الأعراف:١٤٣]. **وجه الدلالة:** أن موسى عليه السلام لما طلب أن يرى الله تعالى، نفى عنه سبحانه الرؤية، بقوله:(لَن تَرَانِي) ، وموسى عليه السلام أحق الناس بالرؤية، والنفي بلن تفيد التأبيد[٣].

الرد عليهم: أن استدلالكم بهذه الآية على نفي الرؤية باطل من عدة وجوه وهي:

---

[١] شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٣٣).

[٢] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (علي بن أحمد الظاهري)، تحقيق/ د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م (٨/٣).

[٣] ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (أبي لقاسم محمود بن عمر)، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د/ فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م. (٥٠٤/٢).

أولاً: أنه لا يُظَنُّ بكليمِ الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عنده من أعظم المحال.

ثانياً: أن الله لم ينكر عليه سؤالَه، ولما سأل نوح ربه نجاةَ ابنِه أنكر سؤالَه، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

ثالثاً: أنه تعالى قال : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾،ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لستُ بمرئيٍّ، والفرق بين الجوابين ظاهر.

رابعاً: قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]. فأعلَمَه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبُت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟!

خامساً: أن الله ﷻ قادر على أن يجعل الجبل مستقراً وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام. والكل عندهم سواء.

سادساً: قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[الأعراف:١٤٣] ، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمْتَنِع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكنَّ اللهَ تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثْبُت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

سابعاً: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وقد سلك الإمام مسلك السلف في تقريره لرؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، فقال عندي تفسير قوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة.

فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم[1].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٨).

المبحث الثاني

تقريره لمسائل القضاء القدر

تمهيد: التعريف بالقضاء والقدر:

القضاء باللغة: قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال تعالى:(فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)[فُصِّلَت:١٢]، أي: أحكم خلقهن"[١].

وأما القدر في اللغة: قال ابن فارس: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته؛ فالقدر مبلغ كل شيء"[٢].

القدر: محركة هو القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء، ويحكم به من الأمور[٣].

والقدر في الاصطلاح: "تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته"[٤].

أو هو "ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[٥].

قال ابن القيم – رحمه الله –: " والقدر عندهم [أي أهل السنة]؛ قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه، فلا يتحرك ذرة فما فوقها؛ إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[٦].

العلاقة بين القضاء والقدر:

- قيل: المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء الخلق[٧].

---

[١] مقاييس اللغة (٥/ ٦٢).

[٢] المصدر نفسه.

[٣] ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٥٤٥). القاموس المحيط (٢/ ١١٢). تاج العروس (١٣/ ٣٧٠).

[٤] عقيدة أهل السنة والجماعة (٣/ ٢٥٥) ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.

[٥] لوامع الأنوار (٣٤٨/١).

[٦] شفاء العليل (ص: ١١٤).

[٧] ينظر: النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير الجزري (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد)، تحقيق/ محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحيار التراث العربي، بيروت، والمكتبة الإسلامية (٤/ ٧٨).

- وقيل العكس: فالقضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر هو جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله[1].
- وقيل: إذا اجتمعا افترقا؛ بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما مر في القولين السابقين، وإذا افترقا اجتمعا؛ بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر[2].

المطلب الأول: مراتب القدر.

لقد سلك الإمام السعدي مسلك السلف في تقرير مراتب القدر، فذكر أن للقدر أربع مراتب ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيق جميع تلك المراتب، وأما من أخل بواحد منها أو أكثر انتقض إيمانه بالقدر، وهذه المراتب[3] هي:

- العلم. – الكتابة.
- المشيئة. – الخلق.

المرتبة الأولى: العلم:

هو الإيمان بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان، وما يكون، وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم[4].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر:٢٢].

وقال رسول الله ﷺ: " ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار"[5].

---

[1] ينظر: فتح الباري لابن حجر، تحقيق/ أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م (١٥/ ١٨٦).

[2] ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٦هـ (ص: ٢٩).

[3] ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥).

[4] ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٨). الشفاء العليل (ص: ٧٥، ٧٦). تيسر الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥). عقيدة أهل السنة والجماعة (٣/ ٢٥٥). ضمن فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.

[5] رواه مسلم في كتاب القدر، باب/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (ص: ١٠٦٢)، برقم (٢٦٤٧)، واللفظ له.

قال ابن القيم –رحمه الله–: "فأما المرتبة الأولى وهي العلم السابق فقد وافق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من الأمة، وخالفهم مجوس الأمة"[١]

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة من مقادير الخلائق[٢].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة، وهي كما يلي:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١].وقال تعالى:﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس:١٢].

وقال رسول الله ﷺ: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[٣].

قال ابن القيم – رحمه الله–: "وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه"[٤].

المرتبة الثالثة: المشيئة:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن[٥].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها:

قال تعالى:﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤].

---

[١] شفاء العليل (ص: ٦٣). وقد رواه البخاري بلفظ: " ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار". رواه في كتاب التفسير، باب/ قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (١٧١/٦)، برقم (٤٩٤٨).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى (٩٨/٣، ٩٩). شفاء العليل (ص: ٨٩). تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥). عقيدة أهل السنة والجماعة (٣/ ٢٥٥). ضمن فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.

[٣] رواه مسلم في كتاب القدر، باب/ حجاج آدم موسى عليهما السلام (ص: ١٠٦٥) برقم (٢٦٥٣).

[٤] شفاء العليل (ص: ٨٩).

[٥] ينظر: مجموع الفتاوى (٩٩/٣). شفاء العليل (ص: ٩٣، ٩٩). تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥). عقيدة أهل السنة والجماعة (٣/ ٢٥٥) ضمن فتاوى ورسائل ابن عثيمين.

وقال تعالى: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [التكوير:٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: " إن قلوب بني آدمَ كلَّها بين إِصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ يصرِّفُهُ حيثُ يشاءُ"[١].

قال ابن القيم – رحمه الله-: "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والبيان"[٢].

المرتبة الرابعة: الخلق:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل ما سوى الله مخلوق موجَد من العدم، كائن بعد أن لم يكن[٣].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها:

قال تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ) [الأنعام:١].

وقال تعالى: (هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) [فاطر:٣].

وقال تعالى: (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ)[الزُّمَر:٦٢].

وقال رسول الله ﷺ: " إن الله يصنع كل صانع وصنعته"[٤].

قال ابن القيم – رحمه الله-: "وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية، والفطر والعقول والاعتبار"[٥].

---

[١] رواه مسلم في كتاب القدر، باب/ تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (ص: ١٠٦٥)، برقم (٢٦٥٤).

[٢] شفاء العليل (ص: ٩٣).

[٣] ينظر: مجموع الفتاوى (٩٩/٣). شفاء العليل (ص: ١٠٩). تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥). الإيمان بالقضاء والقدر، لإبراهيم الحمد (ص: ٦٦).

[٤] رواه البخاري في باب/ أفعال العباد (ص: ٢٥). ينظر: خلق أفعال العباد والرد على الجهمية. ورواه الحاكم في كتاب الإيمان (٨٥/١)، برقم (٨٦). وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه"، ينظر: المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

[٥] شفاء العليل (ص: ١٠٩).

المطلب الثاني: احتجاج المشركين بالقضاء والقدر.

ذكر الله في كتابه كثيراً من خصومات المشركين واعتراضاتهم على النبي ﷺ، ومن أبرز خصوماتهم في باب القضاء والقدر، محاولاتهم لتبرير لما هم عليه من الواقع الشركي، والممارسات الوثنيّة الخرافيّة، وقد شهد القرآن على تلك المحاولات التبريريّة في مثل قوله تعالى: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾) [الأنعام:١٤٨].

فقد ذكر الإمام السعدي –رحمه الله– رداً مفصلاً وكلاماً شافياً معتمداً في ذلك على طريقة السلف في تقريرهم وردهم على هذه الشبهة، فقال:

هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله؛ بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ) [النحل:٣٥].

فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله، وأذاقهم بأسه.

فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب؛ لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه:

- ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.
- أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: (قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ) فلو كان لهم علم –وهم خصوم ألداء؛ لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ)، ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

- أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل؛ لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا.
- أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.
- أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته.
- أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر؛ لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟.
- أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– " وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول"[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٨).

[2] مجموع الفتاوى (١٧٩/٨).

المطلب الثالث: أفعال العباد.

هذه المسألة من أهم المسائل في القدر التي وقع فيها الخلاف بين الفرق، فقد سلك الإمام السعدي –رحمه الله– مسلك السلف في تقرير هذه المسألة، فذكر أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به.

فالله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته[1].

والنصوص على ذلك كثيرة من الآيات القرآنية والنصوص النبوية وأقوال سلف الأمة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦].

قال ابن كثير[2]: "يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر"[3].

وقد روى البخاري عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله خالق كل صانع وصنعته"[4]، وتلا بعضهم عند ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، فأخبر إن الصناعات وأهلها مخلوقة.

وقد وقع الخلاف بين الفرق في هذه المسألة على أقوال وهي:

---

[1] المصدر السابق (ص: ٢٧٨).

[2] هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ه، له مؤلفات عديدة منها: "البداية والنهاية"، و "تفسير القرآن العظيم"، و""الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث"، توفي في دمشق سنة ٧٧٤ه. ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت (ص: ٥٧–٥٩). الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣، ٣٧٤). الأعلام (١/ ٣٢٠). معجم المؤلفين (١/٣٧٣).

[3] تفسير القرآن العظيم (١٢/٣٦).

[4] سبق تخريجه.

القول الأول: قول الجبرية[1]:وهما قسمان:

جبرية خالصة وهم (الجهمية): وهم الذين لا يثبتون للعبد فعلاً أو قدرة على الفعل أصلاً. فزعموا أن أفعال العباد كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية؛ كحركات المرتعش، وحركات الأشجار[2].

جبرية متوسطة: وهم الأشاعرة والماتريدية[3]: وهم الذين يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة على الفعل.

فعندهم أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، وهي كسب على العباد، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل[4].

---

[1] وهي من الفرق الكلامية المنحرفة التي تقول بالجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى، فالعبد عندهم ليس بفاعل، بل هو مجبور وحركته كحركة المرتعش أو كالميت أدرج داخل الأكفان، وأول من قال بهذه المقالة في الإسلام: الجعد بن درهم. ينظر: الملل والنحل (٩٧/١). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط/ الرابعة، ١٤٢٠ه (٢/ ١٠٣٥). معجم ألفاظ العقيدة، لأبي عبد الله عامر بن عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٧ه-١٩٩٧م (ص: ١٢١).

[2] ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤١١ه- ١٩٩٠م (١/ ٣٣٨). الفرق بين الفرق، البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد)، تحقيق/ محمد محي الدين بن عبد الحميد، مكتبة أحمد علي صبيح وأولاده، مصر (ص: ٢١١). الملل والنحل (١/ ٩٨). مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية، ياسر قاضي، أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م (٢/ ٧١٣- ٧١٧).

[3] فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية الكلامية في محاجة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، فجعلوا العقل هو الأصل والنقل فرعاً، لكنهم أبقوا نصوص المعاد على ظواهرها، وبنوا مذهبهم في الأسماء والصفات على التأويل والتفويض، فأثبتوا ثمان صفات، الصفات السبع عند الأشاعرة، بالإضافة إلى صفة التكوين. ينظر: الموسوعة الميسرة (٩٥/١). معجم ألفاظ العقيدة (ص: ٣٥٣).

[4] ينظر: التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق/ د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية (ص: ٣١٩، ٣٢٠). شرح العقائد النسفية، للتفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله)، تحقيق/ الشيخ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة مورافتلي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م (ص: ٥٤، ٥٨، ٥٩). منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، للقاري (علي بن سلطان محمد)، تحقيق/ الشيخ وهبي سليمان غاوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م (ص: ١٦٠). القضاء والقدر للمحمود (ص: ٣٠٨- ٣١٩).

وقد استدلت الجبرية بالعديد من الأدلة وهي كما يلي:

قال تعالى:(ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ) [الزُّمَر:٦٢]. قالوا: هذه الآية وغيرها من الآيات تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وعليه فلا إرادة ولا قدرة للعباد على أفعالهم، فهم مجبورون غير مختارين.

وقال تعالى: (وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ) [الأنفال:١٧]. قالوا: هذه الآية تنفي الفعل عن العبد، وتثبته لله تعالى، فهذا يدل على أن العبد لا إرادة له ولا فعل.

الرد عليهم:

إن الأدلة السمعية التي استدل بها الجبرية دلالتها حق في إثبات أن الله خالق أفعال العباد، ولكنها لا تدل على أن العباد غير فاعلين لأفعالهم، فأدلة الجبرية صحيحة في الرد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعله، وإن الله غير خالق لأفعال العباد[١].

وعليه فاستدلال الجبرية بهذه الآيات معارض بالنصوص الكثيرة التي فيها إثبات إرادة العبد، منها قوله تعالى: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) [البقرة:٧٤]. وقال تعالى: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [التكوير:٢٩].وقال تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)[الأنعام:١١٢]. وقال تعالى: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ)[التغابن:١٦].

وجه الدلالة من هذه الآيات أن أفعال العباد متعلقة بمشيئة الله تعالى، فمشيئة العبد داخلة تحت مشيئة الله تعالى وتابعة لها [٢].

القول الثاني: قول المعتزلة: أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها[٣].

---

[١] ينظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٨ه– ١٩٩٧م (ص: ٣٦٥).

[٢] ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/ السادسة، ١٤٢١ه (٢/ ٢٠٥).

[٣] ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٢٣). المختصر في أصول الدين (ص: ٣٤٦، ٣٥٠). جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، للألوسي (خير الدين نعمان بن محمود أفندي)، تحقيق/ الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٧ه– ٢٠٠٦م (ص: ٢٥٩). المعتزلة وحرية الإرادة الإنسانية، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٠٨ه– ١٩٨٨م (ص: ٧٠).

ويستدلون بالعديد من الأدلة منها:

- الآيات التي تثبت المشيئة للعباد، وتعليق أفعالهم عليها، قال تعالى: (وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ)[الكهف:٢٩].
- ومن الأدلة أيضاً الآيات التي تبين أن العباد هم الذين يؤمنون ويكفرون، ويطيعون ويعصون، كقوله تعالى:(كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ)[البقرة:٢٨]. وقوله تعالى: (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) [آل عمران:٧١]. وقوله تعالى:(وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ) [الإسراء:٩٤][1].

ومن الأدلة العقلية التي يستدلون عليها قولهم:

- لا يجوز أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد؛ لأن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان ﷻ خالقاً لها؛ لوجب أن يكون ظالماً جائراً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[2].

الرد عليهم:

إن الآيات التي تثبت المشيئة للعباد متعارضة بآت عديدة تثبت المشيئة لله تعالى، وأنه لا مشيئة للعباد إلا تحت مشيئة الله منها: قال تعالى:(لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾) [التكوير:٢٨، ٢٩]. وقال تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾) [الإنسان:٢٩، ٣٠].

وعليه يمكن حمل المطلق من الآيات – التي استدلوا بها- بالمقيد، كما هو معلوم عند أهل العلم.

وأما الآيات التي تثبت أن العباد هم الذين يؤمنون ويكفرون، ويطيعون ويعصون، فهي بناءً على أنهم هم الذين يريدون ذلك، وهم الذين يفعلونه، ونحن نقول: إن العبد فاعل لفعله حقيقة. ولكن الزعم أن ذلك يدل على أن الله لا يكون خالقاً لأفعال العباد؛ هو الباطل الذي نرده ونمنعه[3].

---

[1] للاستزادة ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٥٤- ٣٦٣).

[2] ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٤٥).

[3] ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/ ٩٨٨). القضاء والقدر للمحمود (ص: ٣٦٠).

- وأما دليلهم العقلي القائل: لا يجوز أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد؛ لأن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان ﷻ خالقاً لها؛ لوجب أن يكون ظالماً جائراً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

يرد عليهم بعدة أمور كما يلي:

هذا الإلزام غير صحيح؛ لأن كون الباري تعالى خالقاً لها لا يوجب أن يتصف بما خلق من ظلم وكذب وطاعة ومعصية؛ لأن هذه الصفات إنما هي لمن قامت به. فالظلم خلقه تعالى للظالم له، وخلق الجور للجائر به، وكذلك الكذب والمعصية، كما أنه خلق الظلمة للمظلم بها، وخلق الضوء للمستضيء به، فكما أن الله تعالى خلق الظلمة لليل، والضياء للنهار، ولم يوجب ذلك كونه ظلمة ولا ضياء، فكذلك خلق الطاعة للطائع بها، والكذب كذباً للكاذب به، والجور جوراً للجائر به، ولم يوجب ذلك كونه جائراً ولا ظالماً ولا كاذباً، فصح أن خلقه تعالى لهذه الصفات لا يلزم وصفه بها [1].

وقد فصل شيخ الإسلام – رحمه الله– بين فعله تعالى وأفعال عباده، فأفعال العباد ليست أفعالاً لله، وإنما هي مفعولاته (مخلوقاته) وأشار أن الله فرق بين فعله وبين ما هو مفعول –مخلوق له – وليس في مخلوقاته ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى فاعله – الذي هو الإنسان– هو ظلم، كما أن أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما، والله تعالى خالقها بمشيئته، وليست بالنسبة إليه كذلك؛ إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات، والله تعالى خلق كل صانع وصنعته، وهو خالق كل موصوف وصفته. ثم أن صفات المخلوقات ليست صفات له: كالألوان والأطعمة والروائح؛ لعدم قيام ذلك به. وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار؛ لكونها مفعولات هو خلقها. وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة[2].

---

[1] المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، للمعتق (عوّاد بن عبد الله)، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٦ه– ١٩٩٥م (ص: ١٨٠)، ينظر: مجموع الفتاوى (٨٨/١٨).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى (٨٨/١٨).

القول الثالث: قول أهل السنة: إن الله خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة، فللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم[١].

قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله[٢]–: "وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره"[٣].

- ومما سبق قرر الإمام السعدي – رحمه الله – مذهب السلف، وسلك مسلكهم في هذه المسألة.

المطلب الرابع: الهداية والإضلال.

لقد نهج الإمام السعدي نهج السلف وسلك مسلكهم في تقرير هذه المسألة، وبين أن الهداية والإضلال بيده ﷻ، فذكر رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام:٣٩]، فقال: أي منغمسون في ظلمات الجهل، والكفر، والظلم، والعناد، والمعاصي، وهذا من إضلال الله إياهم، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام:٣٩]؛ لأنه المنفرد بالهداية والإضلال؛ بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته[٤].

وقد اختلفت الفرق في هذه المسألة بناء على اختلافهم في مسألة أفعال العباد.

أولاً: الجبرية: قالوا إن الله خالق أفعال العباد، وهم مجبورون على أعمالهم، وبناءً عليه؛ فإن الهداية والإضلال من فعل الله، وليس للعبد في ذلك أي اختيار. وهذا أيضاً

---

[١] ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦). مجموع الفتاوى، (٨/٧٣، ٧٤).جلاء العينين (ص: ٢٥٩). شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ص: ٥٣، ٥٤). العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/٢١٨،٢١٩). التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، للفوزان (صالح بن فوزان بع عبد الله) دار العاصمة، الرياض (ص: ٥٠).

[٢] هو النعمان بن ثابت، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد بالكوفة سنة ٨٠ه، ونشأ بها، وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ه، أراده عمر بن هبيرة على القضاء، فامتنع ورعاً، وأيضاً المنصور العباسي أراده على رأس القضاء فامتنع، فحبس إلى أن مات، له عدة مؤلفات منها: "مسند في الحديث"، و " الفقه الأكبر". ينظر: طبقات الفقهاء، لأبي اسحاق الشيرازي، تحقيق/ د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م (ص: ٨٦). تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م (١/ ١٦٨، ١٦٩). الأعلام (٨/ ٣٦).

[٣] ينظر: منح الروض الأزهر (ص: ١٥٣–١٦١).

[٤] ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٦).

مذهب الأشاعرة؛ بناء على اضطرابهم في الكسب، فوافقوا الجهمية من خلاله [١]. فقد أشاروا إلى أن الله تعالى هو الذي تفرد بهداية خلقه وإضلالهم، ثم أولوا هداية الله لخلقه بأن خلق الإيمان فيهم، وأن إضلال الله لخلقه أنه خلق فيهم الضلال[٢].

ثانياً: المعتزلة القدرية: ذهبوا إلى أن الهداية والإضلال من فعل العبد، بناءً على قولهم بأن الإنسان خالق لأفعاله، فهم يرون أن الهداية فعل للإنسان؛ وذلك من خلال سلوكه طريق الإيمان، وأن الإضلال فعله كذلك، من خلال تنكب طريق الهداية [٣].

ثالثاً: أهل السنة: قالوا أن الهداية والإضلال من فعله تعالى، والاهتداء والضلال من فعل العبد[٤]

قال ابن القيم –رحمه الله– "وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم، على أنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"[٥].

وقد وردت الأدلة على إثبات أن الهدى والإضلال بيد الله تعالى، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: (أَيُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ) [الأنعام:١٢٥]. وقال تعالى: (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ) [المدَّثر:٣١].

---

[١] ينظر: الإرشاد للجويني (ص: ٢١٠، ٢١١). التفسير الكبير (١١/ ٤٨). لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، للمكلاتي (أبي الحجاج يوسف بن محمد)، تحقيق/ د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٧٧م (ص: ٣٢٨، ٣٢٩). شفاء العليل (ص: ١٨٢). مقالات الجهم بن صفوان (٢/ ٧٢٥).

[٢] ينظر: الإرشاد للجويني (ص: ٢١١).

[٣] ينظر: المنهاج في أصول الدين، للزمخشري، تحقيق: سابينا شمي دكه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٨ه– ٢٠٠٧م. (ص:٢٨). المعتزلة وحرية الإرادة الإنسانية (ص:١٣٣).

[٤] ينظر: شفاء العليل (ص: ١٤١). مدارج السالكين (١/ ٥٩). لوامع الأنوار (١/ ٣٣٤). أعلام السنة المشورة (ص: ١٦٨). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن علي حكمي، تحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط/ الثالثة، ١٤١٥ه– ١٩٩٥م. (٣/٩٤٢، ٩٤٣).

[٥] شفاء العليل (ص: ١٤١).

وقد وردت الأدلة أيضاً بإضافة الهدى والضلال إلى العباد، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: (فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ) [يونس:١٠٨]. وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ) [القلم:٧].

المبحث الثالث

تقريره في مسائل متعددة

المطلب الأول: الحكمة من إرسال الرسل.

لما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتفريق الخير والشر، وكانت هناك بعض الأمور الغيبية العظيمة، التي لا يمكن للإنسان معرفتها إلا عن طريق الوحي وعن طريق الشرع؛ كالإيمان بالله وبصفاته العليا، والإيمان بالملائكة وبالبعث والنشور إلى غير ذلك من الأمور الغيبية؛ فقد اقتضت حكمة الباري جل في علاه أن يبعث إلى الخلائق الأنبياء الكرام؛ ليقطع عن البشر معاذيرهم، ولئلا يبقى لإنسان حجة عند الله يوم القيامة[1].

وقد سلك الإمام السعدي – رحمه الله– مسلك السلف في تقريره لهذه المسألة، فذكر رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام:٤٨، ٤٩]أن الحكمة من إرسال الرسل هي البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة. والمنذر والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة.

ثم بين أن الناس انقسموا –بحسب إجابتهم لدعوة الرسل وعدمها– إلى قسمين: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي: آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾فيما يستقبل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾على ما مضى.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾أي: ينالهم، ويذوقونه[2].

وهناك العديد من الأمور التي من أجلها أرسل الله الرسل، وهي كما يلي:

- الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق، ومصطفوا الحق، وحاجة الخلق إليهم ماسة ليبلغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه. فكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء [عليهم السلام]، فكيف تكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين، فهم بُعثوا يُهذبون العباد، ويُخرجونهم من

---

[1] النبوة والأنبياء، للصابوني (محمد علي)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق، ط/ الثالثة، ١٤٠٥ه– ١٩٨٥م (٢٥).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٧).

عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويُحرّرونهم من رقّ عبودية المخلوق، إلى حرية عبادة رب الأرباب الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء، ليكونوا إما أشقياء، وإما سعداء، وهكذا.. فاقتضت حكمته ﷻ أن لا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هملاً، قال تعالى: (أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) [القيامة:٣٦].

- إن الغاية العظمى التي أوجد الله الخلق لأجلها؛ هي عبادته، وتوحيده، وفعل محابّه، واجتناب مساخطه، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:٥٦].

فلا يستطيع الإنسان أن يعرف حقيقة العبادة؛ من فعل ما يُحبّه الله ويرضاه، وترك ما يكرهه الله ويأباه، إلا عن طريق الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه، وفضّلهم على العالمين، وجعلهم مبرّئين من كلّ عيب مشين، وكلّ خلق معيب، وأيّدهم بالمعجزات والحجج والبراهين، وأنزل عليهم البيّنات والهدى، وعرّفهم به، وأمرهم أن يدعوا الناس إلى عبادته وحده حقّ العبادة.

- إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل، كما قال تعالى: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء:١٦٥]، وقال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾) [طه:١٣٤].

- إن الناس لا يدركون بعقولهم كثيراً من الغيبيات؛ مثل معرفة أسماء الله وصفاته، ومعرفة الملائكة والجن والشياطين، ومعرفة ما أعدّه الله للطائعين في دار رضوانه وكرامته، وما أعدّه للعاصين في دار سخطه وإهانته. لذا فإنّ حاجتهم إلى من يعلّمهم هذه الحقائق، ويُطلعهم على هذه المغيّبات ضرورية. وقد امتدح الله تعالى عباده الذين يؤمنون بالغيب، فقال تعالى: (الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ) [البقرة:١-٣].

فلو لم يبعث الله الرسل، لما عرف الناس هذه الأمور الغيبية، ولما آمنوا إلا بما يُدركونه بحواسّهم.

- الخلق بحاجة إلى القدوة الحسنة، ممن كمّلهم الله بالأخلاق الفاضلة، وعصمهم من الشبهات والشهوات النازلة. فالأنبياء هم نبراس الهدى، ومصابيح الدجى، يقتدي بهم

الخلق، ويتخذون من سيرتهم وحياتهم قدوة يسيرون على منوالهم حتى يصلوا إلى دار السلام، ويحطّوا رحالهم في ساحة ربّ الأنام. والرسل هم قدوة الأتباع، والأسوة الحسنة لمن أطاع، في العبادات، والأخلاق، والمعاملات، والاستقامة على دين الله. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

• الرسل عليهم السلام جاءوا لإصلاح النفوس، وتزكيتها، وتطهيرها، وتحذيرها من كلّ ما يُرديها. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢][(١)].

ومما سبق نجد أن حاجة العباد للرسالة ضرورية، قال شيخ الإسلام [رحمه الله] في حديثه عن ذلك: " والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء. والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وينالله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات. قال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات"[(٢)].

وقال ابن القيم – رحمه الله– [ت ٧٥١هـ] : " فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل؛ إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة؛ إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين،

---

(١) ينظر: مقدمة النبوات (١/٢٢-٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٩٣، ٩٤).

فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي. وما لجرح بميت إيلام "[1].

المطلب الثاني: أفضل الرسل.

أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وأن محمدا ﷺ أفضلهم ، قال تعالى: (تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ) [البقرة:٢٥٣].

وقد قرر الإمام السعدي هذا الإجماع عند تفسير قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾) [الأنعام:٩٠] أي: امش –أيها الرسول الكريم– خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل ﷺ، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله ﷺ، أفضل الرسل كلهم[2].

وخصائص النبي ﷺ التي تؤكد أفضليته على باقي الرسل كثيرة نذكر بعضا منها مما جاء في الكتاب والسنة:

- ❑ من خصائص النبي ﷺ في الدنيا:
- أن الله عز وجل خصَّ القرآن الكريم المُنزَّل عليه بالحفظ دون غيره من الكتب ، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) [الحجر:٩]، أما الكتب الأخرى فقد وَكَلَ الله أمْرَ حفظها إلى أهلها قال تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ) [المائدة:٤٤] .
- أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) [الأحزاب:٤٠].

---

[1] زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/ السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م (٦٩/١)

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٣).

- اختصاصه ﷺ بأنه أرسل إلى الناس عامة قال تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١].
- أنه تعالى قرن طاعته بطاعته، فقال: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ) [النساء:٨٠]، وبيعته ببيعته، فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ) [الفتح:١٠]، وعزته بعزته، فقال: (وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ) [المنافقون:٨]، ورضاه برضاه، فقال: (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) [التوبة:٦٢]، وإجابته بإجابته، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) [الأنفال:٢٤].
- أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، فوجب أن يكون محمد أفضل الأنبياء. قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران:١١٠].

❑ ومن خصائص ﷺ في الأخرة :

- أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة، قال تعالى: (وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)[الإسراء:٧٩]. قال الإمام السعدي: وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف أن يقضي الله بينهم، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق[١].
- أنه سيد الخلق يوم القيامة ، قال ﷺ "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع"[٢]. قال الهروي: " السيد: هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارههم، ويدافع عنهم"[٣].
- أنه أول من يَجُوزُ الصِّراط بأمته يوم القيامة. قال ﷺ : "فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته"[٤].[٥]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٤).

[٢] رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب/ تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (١٧٨٢/٤)، برقم (٢٢٧٨).

[٣] صحيح مسلم (١٧٨٢/٤).

[٤] رواه البخاري في كتاب الأذان، باب/ فضل السجود (١٦٠/١) برقم (٨٠٦).

[٥] ينظر: التفسير الكبير (٩٧٦/١). خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، تأليف: الصادق بين محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض (ص: ٣٥) فما بعدها.

المطلب الثالث: الروح:

لم يفصل الإمام السعدي – رحمه الله – في هذه المسألة، لكنه اكتفى بقوله أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه[١].

فلفظ الروح يطلق على العديد من المعاني، وكله موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية، الغالب منها: أن الروح هو الذي يحيا به البدن. وقيل: الروح ملك من الملائكة على خلقة هائلة. وقيل: أن الروح خلق من خلق الله ﷻ صورهم على صور بني آدم. وقيل: أنه جبريل عليه السلام . وقيل: أنه القرآن. وقيل: أنه عيسى عليه السلام. وقيل: القوة والثبات والنصرة، وقيل: هو الوحي[٢].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ومذهب الصحابة والتابعين – لهم بإحسان– وسائر سلف الأمة، وأئمة السنة: أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن، وتصعد وتعرج، وتنعم وتعذب، وتتكلم وتُسأل وتجيب، ليست هي البدن ولا جزءا من أجزائه[٣].

قال ابن القيم – رحمه الله – في سياق حديثه عن الروح: " أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار الحس والحركة الإرادية"[٤].

قال ابن الأثير – رحمه الله: " المراد بالرُّوح الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة"[٥].

وقد اختلف الناس في الروح هل تفنى وتموت؟ على قولين:

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٤).

[٢] ينظر: زاد المسير،لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط/ الثالثة، ١٤٠٤ه (٨٢/٥). الروح لابن القيم، دراسة وتحقيق/ د. بسام علي سلامة العموش، دار ابن تيمية، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م. (٥٢٣/٢، ٥٢٤). لوامع الأنوار (٣٠/٢). النهاية في غريب الأثر (٢٧١/٢، ٢٧٢).

[٣] ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ الثانية، ١٤١١ه- ١٩٩١م (٥٢/٨). مجموع الفتاوى (١٨٦/١٧).

[٤] الروح (٥٧٩/٢، ٥٨٠).

[٥] النهاية في غريب الأثر (٢٧١/٢).

الطائفة الأولى: قالت أن الروح تموت، لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله وحده.

واستدلوا بقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾) [الرحمن:٢٦، ٢٧]. وقال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [القصص:٨٨].

الطائفة الثانية: الأرواح لا تموت وإنما خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) [آل عمران:١٧٠][1].

وقال القرطبي: " فكل من يقول: إن الروح تموت وتفنى فهو ملحد ... وإنما هي محفوظة بحفظ الله، إما منعمة وإما معذبة"[2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدْر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقِها في نعيم أو في عذاب[3].

- ومما سبق نجد أن الإمام السعدي – رحمه الله – وافق السلف في تقرير هذه المسألة.

المطلب الرابع: تقريره بأنه لا يلزم من الحق كثرة أتباعه.

ذكر الإمام السعدي – رحمه الله – أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا تدل القلة في أمر من الأمور أن تكون في غير حق.

فقال عند تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾) [الأنعام:١١٦، ١١٧]

---

[1] ينظر: الروح (٢٤٢/١).

[2] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، تحقيق ودراسة/ الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٥ه (٣٦٩/٢).

[3] ينظر: المصدر السابق (٢٤٣/١).

"ودلت هذه الآية؛ على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك؛ فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون – عند الله– قدراً وأجراً، بل الواجب أن يُستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه[1].

وهذا هو ما ذهب إليه السلف؛ فعندهم أن الحق لا يُوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق.

فالحق والصواب يعرف بموافقة كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، لا بكثرة العدد.

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله: " الزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين"[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٠).

[2] الاعتصام، للشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى– مصر (٨٣/١).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة ذكر الإمام السعدي العديد من المسائل العقدية التي من خلالها قرر مذهب السلف رحمهم الله. ومن هذه المسائل ما يلي:

- تقريره لعقيدة السلف في مسائل التوحيد، ابتداء من تعريفه لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. ثم ذكر أن العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة متلازمة، فلا يكتمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، ثم قرر مذهب السلف من خلال استدلاله بالأدلة النقلية والعقلية على تقرير التوحيد. وقرر مذهب السلف أيضاً بذكر ما ينافي توحيد الألوهية من خلال مسألتين وهما: التنجيم، والذبح لغير الله. بالإضافة إلى تقرير بعض الصفات الواردة في السورة وهما: الصفات الاختيارية، وصفة الرؤية (رؤية الله تعالى في الآخرة).
- تقريره لعقيدة السلف في مسائل القضاء القدر، ابتداء بمراتب القدر، واحتجاج المشركين بالقضاء والقدر، ومسألة أفعال العباد، وأخيراً تقريره لمسألة الهداية والإضلال.
- تقريره لعقيدة السلف في مسائل متعددة وهي كما يلي: الحكمة من إرسال الرسل، ومن هو أفضل الرسل؟، ثم قرر مذهب السلف عند الحديث عن مسألة الروح، وأخيراً تقريره بأنه لا يلزم من الحق كثرة أتباعه.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ زكريا بن خليفة المحرمي، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.

٢- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية – الكويت.

٣- الإحياء للغزالي، مطبعة كرياطة فوترا سمارغ، أندوسيا.

٤- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للإمام/ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بدون.ط.ت.

٥- الاعتصام، للشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

٦- أعلام السنة المشورة لاعتقاد الطائفة النجية المنصورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق/ أحمد بن علي علوش، مكتبة الرشد، وشركة الرياض، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م.

٧- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط/الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٨- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي (محمد أبي حامد)، تحقيق/ موفق فوزي الجبر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

٩- أوائل المقالات، تحقيق/ الشيخ: إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ مفيد، مطبعة/ مهر، ط/ الأولى، ١٤١٣ه.

١٠- الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٦ه.

١١- بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق/ علي محمد العمران، دار عالم الفوائد.

١٢- بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (أبي العباس أحمد بن عبد الحليم)، تحقيق/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط/ الأولى، ١٣٩٢ه.

١٣- البيان والتحصيل، تحقيق/ د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.

١٤- تاج العروس، للمرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني)، تحقيق/ علي هلالي، وأخرون. سلسلة التراث العربي وزارة الإعلام الكويتي، طبع في سنوات متعددة من (١٣٨٩ه/ ١٩٦٩م – ١٤٢٢ه/٢٠٠١م).

١٥- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٦- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مؤسسة غراس، الكويت، ط/ الأولى، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
١٧- التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، للفوزان (صالح بن فوزان بع عبد الله) دار العاصمة، الرياض.
١٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ، تحقيق/ مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط/ الأولى، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.
١٩- التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي .
٢٠- تفسير الكشاف، للزمخشري (أبي لقاسم محمود بن عمر)، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د/ فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م.
٢١- التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق/ هشام حنفي سيد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.
٢٢- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.
٢٣- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد سالم المشعبي، مكتبة الصديق، الطائف، ط/ الأولى، ١٤١٤ه- ١٩٩٤م.
٢٤- تهذيب اللغة للأزهري (أبي منصور محمد بن أحمد)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
٢٥- التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق/ د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
٢٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، دار المصميعي، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م.
٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٨- الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق/ محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/ الأولى، ١٤٢٢ه.
٢٩- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦.
٣٠- جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، للألوسي (خير الدين نعمان بن محمود أفندي)، تحقيق/ الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.
٣١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)، تحقيق/ زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد.
٣٢- الحجة في بيان المحجة للإصبهاني، تحقيق/محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد محمود أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ١٤١٩ه-١٩٩٩م.
٣٣- حق اليقين في معرفة أصول الدين، عبد الله شبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.
٣٤- خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، تأليف: الصادق بين محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض.
٣٥- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للبخاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.
٣٦- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ الثانية، ١٤١١ه- ١٩٩١م.
٣٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م.
٣٨- دقائق التفسير، لابن تيمية، تحقيق/محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.
٣٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق/ د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.
٤٠- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١- الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط/ الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٤٢- الرد على الجهمية، للدرامي (عثمان بن سعيد)، تقديم وإخراج وتعليق/ بدر البدر، الدار السلفية، الصفاة الكويت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٤٣- الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ السادسة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٤- رسائل في العقيدة، د. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٤٥- الروح لابن القيم، دراسة وتحقيق/ د. بسام علي سلامة العموش، دار ابن تيمية، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٤٦- زاد المسير،لابن الجوزي (جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد)، المكتب الإسلامي، بيروت،ط/ الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٤٧- زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/ السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٤٨- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمُرادي (محمد خليل بن علي)، دار ابن حزم، دار البشائر، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٤٩- شرح السنة للبغوي (الحسين بن مسعود)، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٥٠- شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٥١- شرح العقائد النسفية، للتفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله)، تحقيق/ الشيخ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة مورافتلي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٥٢- شرح العقيدة الطحاوية، د. صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار المودة، المنصورة، ط/ الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١١م.
٥٣- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/ السادسة، ١٤٢١هـ.

٥٤- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه، أسامه عبد العزيز، دار التيسير، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
٥٥- شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين، حققه وخرج أحاديثه/ أبو محمد شرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط/ الثالثة، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.
٥٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق/ حسن عبد الله الحساني، دار التراث، القاهرة.
٥٧- الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، تأليف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن العبَّاد، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م
٥٨- الصحاح للجوهري (إسماعيل بن حماد)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الرابعة، ١٩٩٠م.
٥٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٦٠- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م.
٦١- فتح الباري لابن حجر، تحقيق/ أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
٦٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط/ الأولى، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.
٦٣- الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، دراسة وتحقيق/ د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط/ الثانية، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.
٦٤- الفرق بين الفرق، البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد)، تحقيق/ محمد محي الدين بن عبد الحميد، مكتبة أحمد علي صبيح وأولاده، مصر.
٦٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (علي بن أحمد الظاهري)، تحقيق/ د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.
٦٦- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، المطبعة الأميرية، ط/ الثالثة، ١٣٠١ه.

٦٧- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.
٦٨- القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.
٦٩- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرحه/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب وتخريج/ د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د. خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٥ه.
٧٠- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبدالعزيز محمد السلمان، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط/١١، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.
٧١- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، للمكلاتي (أبي الحجاج يوسف بن محمد)، تحقيق/ د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٧٧م.
٧٢- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق/ عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة .
٧٣- لوامع الأنوار البهية، السفاريني (محمد بن أحمد)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط/ الثانية، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.
٧٤- المجلَّى في شرح القواعد المثلى للعثيمين، كاملة الكوري، دار ابن حزم، بدون بيانات النشر.
٧٥- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق/ أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط/ الثالثة، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
٧٦- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب، فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن ودار الثريا، الرياض، ط/ الأخيرة، ١٤١٣ه.
٧٧- مجموعة الرسائل المنيرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر، والشوكاني، والصنعاني، وغيرهم، تحقيق/ محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، ط/ ١٣٤٣ه.
٧٨- المختصر في أصول الدين، للقاضي عبد الجبار، بدون بيانات النشر.
٧٩- مدارج السالكين لابن القيم، اعتنى بها/ مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩ه- ١٩٩٩م.

٨٠- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة/ عبد الإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٢ه – ١٩٩١م.
٨١- المستدرك على الصحيحين، للحاكم (محمد بن عبد الله بن محمد)، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.
٨٢- مشاهير وعلماء نجد، تأليف: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط/ الثانية، ١٣٩٤ه .
٨٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن علي حكمي، تحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط/ الثالثة، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م.
٨٤- معالم السنن، تحقيق/ محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط/ الأولى، ١٣٥١ه، ١٣٥٢ه- ١٩٣٢م، ١٩٣٣م.
٨٥- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، للمعتق (عوَّاد بن عبد الله)، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الثانية، ١٤١٦ه- ١٩٩٥م.
٨٦- المعتزلة وحرية الإرادة الإنسانية، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.
٨٧- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، د/ محمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف، الكويت.
٨٨- معجم ألفاظ العقيدة، لأبي عبد الله عامر بن عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م.
٨٩- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م.
٩٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.
٩١- مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية، ياسر قاضي، أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
٩٢- مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م.
٩٣- الملل والنحل للشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم)، تحقيق/ أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة. بيروت، ط/ الثالثة، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م.

٩٤- منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، للقاري (علي بن سلطان محمد)، تحقيق/ الشيخ وهبي سليمان غاوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م.

٩٥- المنهاج في أصول الدين، للزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: سابينا شمي دكه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.

٩٦- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، للرستاقي، تحقيق/ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، ط/ الثانية، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.

٩٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط/ الرابعة، ١٤٢٠ه.

٩٨- النبوات لابن تيمية، تحقيق/ د. عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.

٩٩- النبوة والأنبياء، للصابوني (محمد علي)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، مكتبة الغزالي، دمشق، ط/ الثالثة، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

١٠٠- النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير الجزري (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد)، تحقيق/ محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والمكتبة الإسلامية.